بلاغة الأخبار في وصف تقلب الأحوال

دراسة في أخبار المعتمد في كتاب نفح الطيب للمقّري

د.وليد مزهر

جامعة البصرة ـ كلية الآداب ـ قسم اللغة العربية

بلاغة الأخبار في وصف تقلب الأحوال

دراسة في أخبار المعتمد في كتاب نفح الطيب للمقّري

د.وليد مزهر

جامعة البصرة.كلية الآداب.قسم اللغة العربية

ملخص البحث:

يشتغل البحث على إعادة قراءة أخبار المعتمد بن عباد، كما أوردها المقّري في كتابه (نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب)، وقد انتظمت في مجموعات ثلاثة ؛ لتغطي سيرته ملكاً وأسيراً وراحلاً، في محاولة للبرهنة على الوعي العميق الذي يمتلكه مؤلف الكتاب، وهو ينضد أخباره بحرفة وإتقان، ورؤية واضحة لسير التاريخ، وحياة الأندلسيين، ومعرفة متقنة بصنعة التأليف؛ ليكون بناء الأخبار، في كل مجموعة خبرية، وهي تؤشر لفترة من حياة المعتمد، متوافقا مع السياق الخارجي، بحمولته من الأفراح والأحزان ومن العظمة والإنكسار، وكيف أن وعي المؤلف بحركة التاريخ الأندلسي كان حاضراً في تنضيد الأخبار؛ لتكون حياة المعتمد، وقد مرّت بالملك والأسر والموت، بالنسبة للمؤلف، صورة مصغرة للأندلس، تلك الجزيرة التي مرت بالمراحل ذاتها ، مجد ثم أسر ثم أصبحت ذكرى جميلة أو فردوساً مفقوداً.

الكلمات المفتاحية: المعتمد، الأندلس، التأليف، المنظومة الخبرية، السياق

The Rhetoric of the news in describing the fluctuating conditions: A study in the news of Al-Mu'tamid in the book Nafih Al-Teeb by Al-Maqri

By :

Dr. Waleed Muzhir Antesh

University of Basrah, College of Arts, Department of Arabic

Abstract:

The research is engaged in re-reading the news of Al-Mu'tamid ibn Abbad, as reported by Al-Maqri in his book (Nafih Al-Teeb from the Ghosn Al-Andalus Al-Rutayb). The study organized into three groups; to cover his biography as a king, as a captive and as a departed person, in an attempt to demonstrate the deep awareness of the author of the book when he compiles his news with craftsmanship and mastery, a clear vision of the course of history, the life of Andalusia's, and an elaborate knowledge of the work of authorship, to be the construction of the news, in each group of news, and it indicates to a period of the life of Al-Mu'tamid Compatible with the external context, with its load of joys and sorrows, and of greatness and brokenness, between the spaciousness of the king, the distress of families and exile, and how the author's awareness of the movement of Andalusia history was present in the news typesetting; to make his life , passed through the king, the captivity and death, according to the author, a miniature of Andalusia that island, which went through the same stages, was glorified, then captured, and then became a beautiful memory or a lost paradise.

Key words: Al-Mu'tamid, Andalusia, authorship, news system, context

بلاغة الأخبار في وصف تقلب الأحوال

دراسة في أخبار المعتمد في كتاب نفح الطيب للمقّري

د.وليد مزهر

جامعة البصرة. كلية الآداب. قسم اللغة العربية

"وأخبار المعتمد بن عباد، تذيب الأكباد"

المقّري(١)

المعتمد بن عبّاد

يشغل المعتمد(٢) محمد بن عباد بن إسماعيل اللخمي (٤٣١-٤٨٨) مساحة واسعة في صورة الأندلس، وليس من المتيسر تأمل الأندلس (بنعيمها وبؤسها) إلا والمعتمد جزء لافت فيها، مثلما لا يمكن أن تقرأ كتاباً يؤرخ للأندلس، من دون أن يكون واحدة من أهم صفحاته بعنوان المعتمد، فهو أنس اخبارها وروي قصائدها، وريث دولة بني عباد، وباني مجدها؛ وعلى يديه كانت "من أبهج الدول في الكرم والفضل والأدب"(٣)، إنه الملك "صاحب إشبيلية وقرطبة وما حولهما"(٤) ، الرجل الذي قام بالملك " أحسن قيام واهتم به أتم اهتمام، عدل في الرعية وأنصفهم "(٥)؛ لتصبح إشبيلية واسطة عقد ممالك الأندلس؛ ويصبح المعتمد " محط الرحال، يقصده العلماء والشعراء والأمراء، وما اجتمع في باب أحد من ملوك عصره ما كان يجتمع في بابه من أعيان الأدب"(٦)، وفضلاً عن القدرة في إدارة الحكم، فإنه كان" فصيحاً شاعراً وكاتباً مترسلاً، بديع التوقيع"(٧)، وقد "كان متمسكاً من الأدب بسبب، وضارباً في العلم بسهم"(٨).

إن اجتماع صفات الملك والأدب، منحته حضوراً أبدياً في التاريخ الأندلسي، رغم أنه قضى حياته في عصر يموج بالفتن الداخلية، والحروب الخارجية، ورغم أن حياته انقسمت بين شطرين أولهما الملك وثانيهما السجن، وفي الحالين أثبت حسن تدبير، ورجاحة عقل، وصبر اً جميلاً، وفوق ذلك كله، فهو ذو شاعرية عظيمة ؛ فالمعتمد" وفق . في أيام سعوده ومجده . إلى درجة من التجويد مكنت له من أن يصل بشعره . في

أبواب الغزل، ووصف مجالس السرور، ووصف الحرب والنصر .إلى آفاق استدرت إعجاب البدو أنفسهم،. فلما تنكرت له الأيام ، وعانى أوصاب السجن والهوان ، أخذت نفسه تجود بدرر من الشعر لا زالت تثير في أنسنا إلى اليوم .الإجلال لهذا الفارس الشهم الكريم"(٩)، كل تلك الصفات جعلته "من محاسن الدنيا كرماً، وعلماً، وشجاعة، ورئاسة تامة"(١٠)، لا تخطئه العين، ولا تكتمل صورة الأندلس إلا به فإذا "عُدّت حسنات الأندلس .. فالمعتمد هذا أحدها، بل أكبرها"(١١).

أخبار المعتمد:

لا تتيح لنا أخبار المعتمد بن عبّاد (٤٣١-٤٨٨) التي نضدها المقّري(١٢) في مؤلفه الهام (نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب) فرصة للاطلاع على شخصية ملك من أهم الملوك الذين حكموا الأندلس، فحسب، بل إنها تمثل فرصة طيبة للتبصر في أحوال الدنيا، و "فحش تقلب الليالي والأيام"(١٣)، فحياة المعتمد، وقد تقلبت من حياة المُلك والجاه والنعمة، إلى حياة الأسر والسجن والذلة والجوع، تمنح المتأمل فيها مجالاً واسعاً للتبصر في الحياة وأخذ العبرة، فـ"ماجرى على أحد من الملوك ما جرى عليه وعلى أولاده"(١٤)؛ إذ أسر ونفي إلى أغمات وقتل أولاده، وذهب ملكه فعاش مقيداً مأسوراً حتى وفاته.

تنتظم أخبار المعتمد في (نفح الطيب) في ثلاث مجموعات؛ لتتوافق مع المراحل التأريخية التي عاشها المعتمد

متباينة في عدد أخبارها، وطريقة نسجها، وفي علاقتها مع الشعر؛ وتقوم فكرة البحث على إعادة تشكيل الاخبار وتصنيفها لتكون في مجموعات ثلاث حسب المراحل الثلاث التي مر بها المعتمد (مُلك / نفي / موت)، سرديا عبر منظومة دلالية ذات أبعاد نفسية وتأريخية، تتصل بنفسية المؤلف وطريقة تفكيره ورؤيته للمعتمد وهو يعيش لحظة حنين عميقة للأندلس بكل تفاصيلها، وتأريخية أن المؤلف لم يكن ينسج أخباره من وحي الخيال إنما كان يحاول صياغة ما وصله من أخبار جرت في الواقع.

وسنجد أن الأخبار تنتظم في مجموعات ثلاثة:

الأولى: أخباره إبان كان ملكا لإشبيلية ملء السمع والبصر، وتبدو الأخبار واضحة منبسطة رحبة تشتمل على كثير من الأنس، وكأنها تستمد طاقتها تلك من وضوح الأمور ورحابة الملك وسعة.

المجموعة الثانية من الأخبار يحضر المعتد الأسي/المنفي، حيث نفي إلى أغمات في المغرب، ولم يعد ملكاً، فقد الملك، والأولاد، والوطن والحرية.

ثم تختتم الأخبار بالمجموعة الثالثة؛ لتنقل أخباراً حول من زاره بعد وفاته وهي أخبار تأتي لتوضح العَبرة التي يغص بها الناس حزناً على المعتمد، والعِبرة التي غدا عليها المعتمد، وقد تحول من القصر الى القبر.

ان هذا التشابه والتنوع دفع الباحث الى اعتماد المنظومة الخبرية اساساً في قراءة الأخبار ، محاولاً البحثَ عما ينتجه الخبر وقد انتظم في منظومة خبرية ويحاول تتبع الأخبار في أحول المعتمد الثلاثة (الملك والمنفى وما بعد الموت) ظناً منه أنه في "داخل المنظومة يمكن للخبر أن يقول ما لا يقوله منفرداً"(١٥)؛ حيث يضيء الخبر مساحة أوسع من المعاني والدلالات.

لنصل الى فكرة الوعي العميق الذي يحمله مؤلفو السرد العربي القديم وهم ينضّدون أخبارهم بدقة عالية وانتباه شديد؛ فالمؤلف لا يكتفي أن يتوافق مضمون الأخبار مع المرحلة التي تعيشها الشخصية الرئيسة في الأخبار (المعتمد) بل يذهب إلى أن تتوافق الأخبار من حيث البناء وأسلوب السرد مع المراحل المختلفة.

أخبار المرحلة الأولى /المعتمد ملكاً:

إن هذه الأخبار توثق حياة المعتمد في مرحلة الملك، وأهم ما نلحظه أن كل خبر يقوم قي بنائه على ثلاثة أقسام : تحدٍ، وعجز، وحل:

اأولاً: التحدي وتبدأ بعد وصف أو مقدمة للأخبار، ثم يأتي أمر فيه تحدٍ للحاضرين.

ثانياً: العجز حيث تعجز الشخصيات المحيطة بالمعتمد عن إجابة التحدي.

ثالثاً: الحل حيث يقوم المعتمد بحل التحدي أو شخصية أخرى لكنها غير الشخصية التي يتوجه اليها التحدي.

أولاً: التحدي:

الخبر الأول: "ركب المعتمد في النهر ومعه ابن عمار وزيره، وقد زردت الريح النهر.. فقال ابن عباد [المعتمد] لابن عمار أجز: صنع الريح على الماء زرد "(١٦).

الخبر الثاني: "إن المعتمد مرّ مع وزيره ابن عمار ببعض أرجاء إشبيلية، فلقيتهما امرأة ذات حسن مفرط، فكشفت وجهها، وتكلمت بكلام لا يقتضيه الحياء، وكان ذلك بموضع الجباسين الذين يصنعون الجبس

والجيارين الصانعين للجير، بإشبيلية.. فالتفت المعتمد إلى موضع الجيّارين وقال يا ابن عمار الجيارين، ففهم مراده، وقال في الحال: يا مولاي والجياسين "(١٧).

الخبر الثالث: "وتباحث المعتمد مرة مع الجلساء في بيت المتنبي الذي زعم أنه أمير شعره:.

أَزُورُهُمْ وَسَوَادُ اللّيْلِ يَشفَعُ لي وَأنثَني وَبَيَاضُ الصّبحِ يُغري بي "(١٨)

"فقال [المعتمد]ما قصر في مقابلة كل لفظة بضدّها إلا أن فيه نقداً خفياً.." (١٩)

الخبر الرابع: "جلس المعتمد يوماً للشرب وذلك في وقت مطر أجرى في كل وهدة نهرا، وحلّى جيد كل غصن من الزهر جوهرا، وبين يديه جارية تسقيه وهي تقابل وجهها بنجم الكأس في راحة كالثريا، وتخجل الزهر بطيب العرف والريا.. فاتفق ان لعب البرق بحسامه، وأجال سوطه المذهّب يسوق به ركامه..." (٢٠).

الخبر الخامس: إن الرميكية(٢١) "رأت الناس يمشون في الطين ، فاشتهت المشي في الطين، فأمر المعتمد، فسحقت أشياء من الطيب، وذرت في ساحة القصر حتى عمته، ثم نصبت الغرابيل، وصب فيها ماء الورد على أخلاط الطيب، وعجنت بالأيدي حتى عادت كالطين، وخاضتها مع جواريها.. وغاضبته في بعض الأيام .. فأقسمت أنها لم ترَ منه خيراً قط." (٢٢)

ثانياً: العجز:

الخبر الأول: "فأطال ابن عمار الفكرة .."(٢٣).

الخبر الثاني: "فلم يفهم الحاضرون المراد وتحيروا .."(٢٤).

الخبر الثالث: "فلما فكروا قالوا: ما وقفنا على شيء .."(٢٥).

الخبر الرابع: "فارتاعت لخطفته، وذعرت من خيفته.."(٢٦).

الخبر الخامس: "فقال لها ولا يوم الطين؟"(٢٧).

ثالثاً: الحل:

الخبر الأول: "فقالت امرأة من الغسالات: أي درع لقتال لو جمد"."فتزوجها وولدت له أولاده الملوك النجباء"(٢٨)

الخبر الثاني: "فسألوا ابن عمار .. وتفسيرها أن المعتمد صحّف (الحيا زين) بقوله الجيارين، إشارة إلى أن تلك المرأة لو كان لها حياء لازدانت، فقال له والجباسين وتصحيفه (والخنا شين) أي: هي وإن كانت جميلة بديعة الحسن لكن الخنا شانها". "فقال المعتمد: لا تبعها منهم إلا غالية"(٢٩)

الخبر الثالث: قال: الليل لا يطابق إلا النهار لأن الليل كلي والصبح جزئي. "فتعجب الحاضرون، وأثنوا على تدقيق انتقاده"(٣٠).

الخبر الرابع: "فقال المعتمد بديهاً:

وروعهـا البرق وفي كفها .. برق مـن القهوة لمّاع

عجبت منها وهي شمس الضحى .. كيفّ من الأنوار ترتاعُ"(٣١)

"فاستدعى عبد الجليل بن وهبون المرسي وأنشده البيت الأول مستجيزاً، فقال عبد الجليل:

ولن ترى أعجب من آنس ،، من مثل ما يمسك يرتاعُ

فاستحسنه وأمر له بجائزة"(٣٢).

الخبر الخامس: "فاستحيَت .."(٣٣).

تركيب:

إن أهم ما تمتاز به هذه المجموعة هو تناسق الأخبار، ووحدة البناء التي تصب في بيان صورة المعتمد التي تبدو صورة زاهية جميلة ؛ فالأخبار جميعها، تذهب في اتجاه إبراز القدرات المتنوعة للمعتمد ، وتتفق في الخطوات والمراحل والنتائج ، بنهاياتها السعيدة وبتعدد الأماكن الجميلة وحضور الشخصيات المختلفة في إشارة إلى الأنس والمجد:

فنلاحظ أن بناء أخبار هذه المجموعة يقوم على ثلاثة أقسام، تبدأ بتقديم وصف أو مقدمة للدخول إلى الخبر، ثم التحدي، ثم مرحلة العجز عن إيجاد حل لهذا التحدي، ثم تأتي مرحلة الحل، ثم تختتم الأخبار

بالنتيجة أو العاقبة التي تكون دائما لصالح المعتمد ، ولانجد خبراً واحداً، فيما يرويه المقّري يذهب إلى اتجاه عجز المعتمد أو هزيمته أو أن ينتصر الاخرون عليه ولو لمرة واحدة، على الرغم من أن فترة ملك المعتمد كامن واحدة من أعقد فترات الأندلس لكثرة الحروب والمشاكل، ويرى الباحث أن المسألة تتعلق بوعي المؤلف للعلاقة بين مرحلة الملك التي يعيشها المعتمد وأخباره ولأن فترة ملكه فترة مجد، خاصة وأن مملكته كانت من أكبر الممالك وأعظمها شأنا ولذا فإن على الأخبار أن تذهب بهذا الاتجاه، اتجاه المعتمد الملك المنتصر.

إن الأخبار تعكس صورة مجيدة للملك الظافر. تصب أخبار المجموعة في صالح المعتمد، وهذا طبيعي، أليس هو الملك الذي بيده مفاتيح الحل والعقد، أليس هو الملك الذي يتغلب على الأعداء؟ فلماذا لا يتغلب على المشاكل؟ وهو الذي يعجِز خصومه، الا يعجِز رعيته بفكره وحسن تدبيره؟.

من جهة أخرى نلحظ تعدداً في الأماكن التي تجري فيها الأحداث؛ وكأنها إشارة إلى الحرية التي ينعم بها المعتمد، وهي أماكن أنس وسهر وملك وجاه، إنها أماكن تحضر لتُحضِر السعادة ورغم أن المعتمد هو الشخصية الرئيسة في هذه الأخبار إلا أن الأخبار تزدحم بعدد من الشخصيات التي تحيط بالمعتمد؛ وكأن حضورها يأتي ليظهر جانب العظمة والملك.

أخبار المرحلة الثانية: المعتمد منفياً

تقوم المجموعة الثانية من أخبار المعتمد في (نفح الطيب) بنقل مرحلة ثانية من مراحل حياة المعتمد وهي مرحلة مختلفة تماماً مع المرحلة الأولى، فالمعتمد وقد رحل المُلك ، وحلّت به النوائب والنكبات، وفقد الأولاد والحرية والنعيم، يبدو في هذه أخبار هذه المرحلة بصورة أخرى، وتأتي أخبار هذه المجموعة لتناسب الوضع الجديد، من ناحية البناء والمضمون، فالأخبار هنا، تجتهد في إظهار مقارنة بين وظعين مختلفين، وإبراز المقابلة بين الوضع الذي كان، والوضع الذي هو كائن، ثم تختتم بالشعر، بوصفه حاملاً لمشاعر الخيبة والإنكسار والألم التي يعيشها المعتمد في هذه المرحلة، وموثقاً للأحداث التي تجري في الوقت نفسه.

فالشعر في أخبار هذه المرحلة يؤدي دورين هامين: أولهما التعبير عن ألم الذات وما تنطوي عليه من معاناة، وهذا يقوم به الشعر أحسن قيام ، والثاني هو توثيق هذه السنوات وما انطوت عليه من مرارة وحزن.

أولاً: الاستقرار والأنس

الخبر الأول: "وكان القصر الزاهي من أجمل المواضع لديه وأبهاها، وأحبها إليه وأشهاها، لإطلاله على النهر، وإشرافه على القصر، وجماله في العيون، واشتماله بالزهر والزيتون، وكان له من الطرب.. مالم يكن بحلب لبني حمدان .."(٣٤).

الخبر الثاني: "وكانت طائف من أهل فاس قد عاثوا فيها وفسقوا، وانتظموا في سلك الطغيان واتسقوا، ...إلى أن تدارك أمير المسلمين ..أمرهم، وأطفأ جمرهم، وأوجعهم ضرباً، وسجنهم بأغمات، والمعتمد إذ ذاك معتقل هناك، وكانت فيهم طائفة شعرية، فرغبوا إلى سجانهم ، أن يستريحوا مع المعتمد من أشجانهم، فخلى ما بينهم وبينه، فكان المعتمد .. يتسلى بمجالستهم، ويجد أثر مؤانستهم، ويستريح إليهم بجواه، ويبوح لهم بسره ونجواه"(٣٥).

الخبر الثالث: "وأول عيد أخذه .يعني المعتمد .بأغمات"(٣٦).

الخبر الرابع: "ومر عليه في موضع اعتقاله سرب قطا لم يعلق لها جناح، ولا تعلق بها من الأيام جُناح، ولا عاقها عن أفراخها الأشراك، وهي تمرح في الجو، وتسرح في مواقع النو"(٣٧)

ثانياً: الإفتقار

الخبر الأول: "فلما امتد إليه الزمان بعدوانه، وسد عليه أبواب سلوانه، لم يحنّ إلا إليه، ولم يتمنّ إلا الحلول لديه"(٣٨).

الخبر الثاني: إلى أن شفع لهم فانطلقوا من وثاقهم، وبقي المعتمد في محبسه يشتكي من ضيق الكبل، ويبكي بدمع كالوبل، فدخلوا عليه مودعين، ومن بثه متوجعين"(٣٩).

الخبر الثالث: "فدخل عليه من بنيه، من يسلم عليه ويهنيه، وفيهم بناته وعليهن أطمار، كأنها كسوف وهن أقمار، يبكين عند التساؤل، ويبدين الخشوع بعد التخايل، والضياع قد غير صورهن، وحير نظرهن، وأقدامهن حافية، وآثار نعيمهن عافية"(٤٠).

الخبر الرابع: "فتنكد بما هو فيه من الوثاق، وما دون أحبته من الرقباء والأغلاق، وما يقاسيه من كَبله، وما يعانيه من وجده وخبله، وفكر في بناته وافتقارهن إلى نعيم عهدنه، وحبور حضرنه وشهدنه"(٤١)

ثالثاً: التعزي بالشعر:

تأتي القسم الثالث من الأخبار شعراً ، فهو يأتي ليوثق اللحظة، ويأتي ليعبر عن الألم الذي يحيط بالمعتمد، تلك اللحظة القائمة على تضاد عنيف بين حالين، الصعود النزول، القوة والضعف، العز والذل، الأنس والوحشة، الغنى والفقر، إنها حالة الانكسار العظيمة التي تحرق القلب وتدمع العين ومن سوى الشعر قادر على القيام بتصوير ذلك وقد أقامه الله تعالى للعرب "وجعله لعلومها مستودعاً، ولآدابها حافظاً، ولأنسابها مقيداً، ولأخبارها ديواناً، لا يرثّ على الدهر، ولا يبيد على مرّ الزمان"(٤٢)

الخبر الأول: قال يخاطبه (٤٣):

غـــــريب بِـــــأَرضِ المغربينِ أَسيرُ سَيَبكي عَلَيـهِ مِنبَـرٌ وَسَـريرٌ

وَتَندُبُهُ البيضُ الصَوارِمُ وَالقَنـــــا وَينهلُّ دَمـــــــعٌ بينَهُنَّ غَزيرُ

فَيـا لَيتَ شِعري هَـــــل أَبيتنّ لَيلَةً أَمـامي وَخَلفي رَوضَةٌ وَغَديرُ

بِمُنبَتَةِ الزَيتـــــونِ مـــــورثةُ العُلى يُغَنّي حَمـــــامٌ أَو تَرِنُّ طُيورُ

بِزاهِرِها السامي الذُرَى جادَهُ الحَيا تُشيـرُ الثُرَيّـا نَحـوَنا وَنُشيرُ

وَيلحُظُنـــا الزاهي وَسعدُ سعـودِهِ غيورَينِ وَالصَبُّ المُحِبُّ غَيورُ

ان أبيات الخبر الأول جاءت لتقابل بين حالين الغريب في أرض المغربين والمَلِك الذي يبيت وأمامه وخلفه منبر وسرير، حيث قصره الزاهي وليالي الأنس وغناء الجواري والطيور في إشارة إلى تآلف البشر والطبيعة من أجل إدخال السرور على قلب الملك.

الخبر الثاني: فقال(٤٤):

أَمـا لانسكابِ الدَّمعِ في الخَدِّ راحَةٌ لَقَد آنَ أَن يَفنى وَيَفنى بِهِ الخَـــدُّ

هَبُـــــــوا دَعـوَةً يا آلَ فاسٍ لِمُبتَلٍ بِما مِنهُ قَد عافاكُمُ الصَّمَدُ الفَردُ

تَخَلَّصتُمُ مِن سجنِ أَغماتَ وَالتَوَت عَلَيَّ قُيـــــودٌ لَم يَحِـن فَكُّها بَعدُ

من الدُّهمِ أَمّا خلقُها فأساوِدٌ تَلَوّى وَأَمّـــــــا الأَيدُ وَالبَطشُ فالأُسْدُ

فهُنِّئتُمُ النُعمى وَدامَـــــت لِكُلّكُمُ سَعـــــادَتُهُ إِن كانَ خانَني سَعدُ

خَرَجتُم جَماعـاتٍ وَخُلِّفتُ واحِدًا وَلِلَّه في أَمـــــري وَأَمركمُ الحَمدُ

وفي الخبر الثاني تعبر الأبيات عن المقابلة بين جلوس المعتمد مع رجال يؤنسون وحدته، وجلوسه في الأسر وقد بقي وحيداً، بعد أن أفرج عمن كان يأنس بهم فقد تخلصوا من سجن أغمات وبقي المعتمد وحيدا وقد التوت عليه قيود لم يأتِ أوان فكها عنه بعد

الخبر الثالث: فقال(٤٥):

فيمـا مَضى كُنتَ بِالأَعيادِ مَسرورا فَساءَكَ العيدُ في أَغماتَ مَأسورا

تَرى بَناتكَ في الأَطمـــــارِ جائِعَةً يَغزِلنَ لِلناسِ مـا يَملِكنَ قَطميراً

بَرَزنَ نَحوَكَ لِلتَسليمِ خـــاشِعَةً أَبصـــــارُهُنَّ حَسراتٍ مَكاسيرا

يَطأنَ في الطين وَالأَقـدامُ حـافيَةٌ كَأَنَّها لَم تَطأ مِسكاً وَكافـــــورا

لا خَدَّ إِلّا تَشكّى الجَدبَ ظـاهِرهُ وَلَيسَ إِلّا مَعَ الأَنفـاسِ مَمطورا

أَفطَرتَ في العيدِ لا عادَت إِساءَتُهُ فَكانَ فِطرُكَ لِلأكبـــادِ تَفطيرا

وفي الخبر الثالث تأتي الأبيات لتصور أيضا لحظتين متقابلتين أولاهما لحظة الأعياد زمن الملك (مسرورا) ولحظة العيد في أغمات /الأسر (فساءك) فتكون المقابلة بين عيد يسر وآخر يسيء ثم يبين سبب ذلك وهو رؤيته لبناته وقد رآهن على هذه الحالة.

الخبر الرابع: فقال(٤٦):

بَكيتُ إِلى سربِ القَطا إِذ مَـرَرنَ بي سَـوارِحَ لا سِجنٌ يَعـــــوقُ وَلا كبلُ

وَلَم تَكُ وَاللَهُ المعيـذُ حســـــادَةً وَلَكِن حَنيناً إِنّ شَكلي لَهـــــا شَكلُ

فاِسرح فَلا شملي صَديعٌ ولا الحَشا وَجيعٌ وَلا عَيناىَ يُبكيهِمـــــــا ثَكلُ

هَنيئاً لَهـا أَن لَم يُفَـــــرِّق جَميعُها ولا ذاقَ مِنها البُعدَ عَن أَهلِهـا أَهـــــلُ

وَأَن لَم تَبِت مِثلي تَطيـرُ قُلـــوبُها إِذا اهتَزَّ بابُ السجنِ أَو صلصلَ القفلُ

وَما ذاكَ مِمّـــــــا يَعتَريني وَإِنَّما وَصَفتُ الَّذي في جِبلَةِ الخَلق مِـن قَبلُ

لِنَفسي إِلى لُقيـا الحِمـــامِ تَشوُّفٌ سِوايَ يُحِبُّ العَيشَ في ســـــاقِهِ كَبلُ

أَلا عَصَمَ اللَهُ القَطا في فِراخِهـــا فَإِنَّ فِـــــــــراخي خانَها الماءُ وَالظِلُّ

وفي الخبر الرابع تنتقل الأبيات في تشكيل الصورة بين ثلاثة عالم سرب القطا وهي تطير لا يعوقها السجن ولا القيد، وبين حاله وقد كبله السجن واحاط به القيد، وبين عالم الماضي حيث شمله مجتمع لم يتصدع وحيث حشاه مطمئن لم يتوجع، إن قلوب الطير ساكنة على عكس قلبه الذي يفزعه اهتزاز باب السجن.

تركيب:

إن التقابل بين وضعين يتضح تماما في شعر المعتمد الذي تختتم به أخبار وهذا التقابل "من أكثر ضروب التصوير شيوعاً في أشعار سجنه على الإطلاق، فقد عول عليه كثيراً، ليفرق بين السعادة والشقاء، بين الحرية والأسر، بين الماضي بكل مباهجه والحاضر بكل آلامه"(٤٧)، فالوضعان حاضران يمسك بهما المعتمد بقوة وكأنه لا يريد لهما ان يغيبا عن خاطره، فهو يذكر نفسه بهما دائماً، بهاتين اللحظتين: لحظة المعتمد الملك، ولحظة المعتمد الأسير،

ويأتي الشعر لبيان ما يجول في أعماق النفس/نفس المعتمد من الم، وهو من نظم المعتمد، غني عن البيان ان المعتمد من أهم شعراء الاندلس "وله شعر كما انشق الغمام عن الزهر، لو صدر مثله عمن جعل الشعر صناعة واتخذه بضاعة، لكان رائعاً معجباً، ونادراً مستغرباً .. يرمي فيصيب، ويهمي فيصوب"(٤٨). وقد تجلت شاعريته العظيمة في الأسر تجليا لاتزال آثاره باقية الى اليوم؛ "فلما تنكرت له الأيام، وعانى أوصاب السجن والهوان، أخذت نفسه تجود بدرر من الشعر لا زالت تثير في أنفسنا إلى اليوم. الإجلال لهذا الفارس الشهم الكريم"(٤٩)، وفي ديوانه برهان على أن المعتمد نظم "في أغمات أصدق أشعاره عاطفة، وأبلغها في النفس أثراً"(٥٠)؛ إن الشعر يحضر ليكشف لنا عن مشاعر المعتمد عن أحزانه التي هي مدار الحدث الوحيد، فلا حدث يقدمه الشعر سوى ما يعبر عن معاناة السجين.

وإذا كان المعتمد المَلك لديه عدد من الشعراء الذين يوثقون أعماله، ويمجدونه، فلا أحد معه ليقوم بمهمة توثيق نهاياته الحزينة سوى شعره، "وهذه النهاية الدرامية . أيضاً . هي التي كانت بمثابة المادة والتجربة

الدرامية التي تغذى منها شعره في الأسر حيث تجلت فيه نفسية وشخصية المعتمد في صورتها النهائية الحقيقية"(٥١)، من دون أن نغفل سعي الاخبار الحثيث الى اظهار ما يقاسيه المعتمد في اسره ومنفاه، من خلال المقارنة الدائمة بين عالم الان وعالم الأمس، ثنائية متواصلة علم الاسر وعالم الملك.

إن أهم ما يمكن ملاحظته في هذه المجموعة ان بناء الخبر يقوم على هيئة معاكسة للمجموعة الأولى فهي تقوم على نهاية منكسرة في كل مّرة على عكس أخبار المجموعة الأولى التي تنتهي بانتصار المعتمد في كل خبر، فليس ثمة خبر ينتهي بما يشبه المجموعة الأولى ، أي ان ينتهي نهاية إيجابية. وهو ما يعطينا صورة واضحة مرة أخرى على وعي المؤلف بعملية التاليف وانه لم يكن ينضد أخبارا بقدر ما كان يبني أخباره بوعي شديد لتلائم كل مجموعة من الأخبار المرحلة التي يمر بها الشخصية الرئيسية للأخبار.

ثالثاً:أخبار المرحلة الثالثة: ما بعد وفاة المعتمد:

في أخبار هذه المرحلة تكتمل صورة المعتمد وهي صورة فيها الكثير من الاختلاف ، فلم يعد المعتمد صانعا للحدث ، بل هو الغائب موضوع الحديث، فهو لم يعد ملكا (المرحلةالأولى) ولم يعد أسيراً (المرحلة الثانية)، إنما هو المعتمد الفقيد/الراحل، تمنح صفة الغياب الكثير من الحرية للمؤلف في تدوين الأخبار ، فبرحيل المعتمد ذهب ما كان يقيّده واعني به سلوك المعتمد ، صفة الغياب منحت المؤلف فسحة أكبر للتعبير عن مشاعره التي يكاد يخفيها فتظهر في المجموعتين السابقتين ، انما هنا يظهرها بكل أريحية . ذهب زمان توثيق سيرة الرجل وجاء زمان الحديث عنه، ليكون مدار الصورة هنا هو رؤية الناس للمعتمد، الناس ومنهم المؤلف وقد أصبح شخصية فاعلة داخل الأخبار.

يمكن الحديث عن هذه المرحلة في ثلاث حركات : التألم ، والاستحضار ، والعِبرة:

أولاً: التألم:

تستحضر أخبار المعتمد بعد وفاته على حضور البكاء الناجم من شدة التأثر على فراقه، وهي أخبار تجمع بين الندب وهو "النواح والبكاء على الميت بالعبارات المشجية والألفاظ المحزنة"(٥٢) وبين التأبين حيث لا يكتفي الفاقدون بـ"بتصوير شعورهم الحزين ، بل يضيفون إليه إشادة بالميت ومناقبه"(٥٣) فأبو بحر بن عبدالصمد يزور قبر المعتمد بعد وفاته فيقف على قبره ويرثيه بقصيدة ملؤها الألم والشجن والحزن الكبير عليه، وقد "وافى أبو بحر ابن عبد الصمد شاعره المتصل به، المتوصل إلى المنى بسببه، فلما كان يوم

العيد وانتشر الناس ضحى، وظهر كل متوارٍ واضحاً، قام عند قبره عند انفصالهم من مصلاهم، واختيالهم بزينتهم وحُلاهم، وقال بعد أن طاف بقبره والتزمه، وخرَّ على تربته ولثمه: (٥٤)

ملك الملوك أســـــــامع فأنادي أم قد عدتك عن السماع عوادي

لما خـلت منك القصور فلم تكن فيها كمـــــــا قد كنت في الأعياد

قبّلت في هـذا الثرى لك خاضعاً وتخذتُ قبرك موضـــــع الإنشادِ

وهي قصيدة طال إنشادها، وبنى بها اللواعج وشانها، فانحشر الناس إليه وانحفلوا، وبكوا ببكائه وأعولوا، وقاموا أكثر نهارهم مطيفين به طواف الحجيج، مديمين للبكاء والعجيج، ثم انصرفوا وقد نزفوا ماء عيونهم، وأقرحوا مآقيهم بفيض شؤونهم"(٥٥).

إن شدة التألم التي ينقلها الخبران تعدت حالة الشاعر وهو يؤبن فقيداً إلى الناس التي كانت حاضرة عند قبر المعتمد وقد انقلب حالهم من الأنس بالعيد إلى البكاء والحزن، إن تصوير حالة التألم التي حفل بها الخبران تتعدى غاية الخبر من الإخبار/نقل الحادثة إلى اقناع المتلقي بمكانة المعتمد بعد وفاته ، من دون أن يتحصل القارئ على إجابات عن أسئلة تثيرها الأخبار هنا، من مثل ما لذي يعرفه الناس الذين يعيشون في مدينة بعيدة جدا عن الأندلس عن أحوال المعتمد حتى يظهرون كل هذا التأثر؟ وكيف تكونت هذه المعرفة لدرجة الحزن الذي يفسد الأعياد ويأتون قبره ويصيبهم كل هذا التألم لدرجة أن تتقرح مآقيهم؟

ثانياً: الاستحضار

كيف تستحضر هذه المجموعة المعتمد؟ بأي صورة يحضر؟

يمكن تلمس الصورة وقد تحولت الى صوة رمزية خالصة لا تشوبها شائبة، هكذا تفعل الأخبار في هذه المرحلة فهو كعبة للطواف والزيارة، ويطاف بقبره كطواف الحجيج حول البيت "وقاموا أكثر نهارهم مطيفين به طواف الحجيج، مديمين للبكاء والعجيج"(٥٦) وهو العبد الصالح كما يقول ابن الخطيب، وليس العبد الصالح الذي تشد الى زيارته الرحال "وقال لسان الدين ابن الخطيب رحمه الله تعالى: وقفت على قبر المعتمد بن عباد بمدينة أغمات في حركة أعملتها إلى الجهات المراكشية، باعثها لقاء الصالحين ومشاهدة الآثار سنة(٧٦١)، وهو بمقبرة أغمات في نشز من الأرض، وقد حفّت به سدرة، وإلى جانبه قبر اعتماد حظيته

مولاة رميك، وعليهما هيئة التغرب ومعاناة الخمول من بعد الملك/ فلا تملك العين دمعها عند رؤيتها، فأنشدت في الحال(٥٧):

قد زُرْتُ قبْرَكَ عــن طَـوْعٍ بأغْماتِ رأيتُ ذلك مـــــن أوْلى المُهِمَّاتِ

لِمَ لا أزورُكَ يا أنْدى الملـــــوكِ يداً ويا سِـــــراجَ اللّيالي المُدْلِهِمَّات

وأنتَ من لو تخطّى الدّهرُ مَصْرَعَهُ إلى حياتي أجـــــادَتْ فيه أبياتي

أنـــــافَ قبْـــركَ في هَضْبٍ يُميّزُهُ فتَنْتَحيهِ حَفِيّـــــاتُ التّحياتِ

كَرُمَتْ حيّا وميْتـــــا واشْتَهَرْتَ عُلاً فأنت سلطانُ أحياءٍ وأمـــــواتِ

ما ريء مثلكَ في مــاضٍ ومُعْتقدي أن لا يُرى الدّهر في حالٍ وفي آتِ(٥٨)

بل إن زيارة قبه من المهمات كما يرى لسان الدين ابن الخطيب"(٥٩)

وهو ملك ملوك الأندلس، كما يخبر الدليل المقّري هو يبحث عن قبر المعتمد مقتديا بلسان الدين ابن الخطيب: "قلت وقد زرت أنا قبر المعتمد والرميكية أم أولاده ، حيت كنت بمراكش المحروسة عام عشرة وألف ...حتى هداني إليه شيخ طعن في السن، وقال لي: هذا قبر ملك الملوك ، وقبر حظيته .."(٦٠)، وهنا لم يعد المؤلف راوياً فحسب؛ بل إنه جزء من الأخبار ، وشاهد عيان على المرتبة العالية التي وصلها المعتمد بعد وفاته "فشاهد العيان هو بلاشك المخبر المثالي عن التفاصيل ... ويفترض أن كلمته بالاحترام. فالعين الرائية هي آمن الوسائط لتدوين التاريخ"(٦١) .

ثالثاً: الاعتبار

لم يغفل المؤلف ،وقد نقل لنا ما وصل إليه المعتمد بعد وفاته، أن يلفت انتباه قارئه الى أمر هام وهو العِبرة التي يستخرجها من قراءة أخبار المعتمد، فنجد أن الكثير من العبارات التي ختتم بها الأخبار التي يرويها كقوله: " فسبحان من يؤتي ملكه من يشاء لا إله غيره وارث الأرض ومن عليها وهو خير الوارثين"(٦٢) و"سبحان من لايبيد ملكه"(٦٣) و"تبارك من له العزة والبقاء والدوام .. وسبحان المبدئ المعيد" (٦٤) وهو لايكتفي بنقل تصوراته او استدلالاته على العبرة من خلال الأخبار ، بل يصف الخشية والاعتبار اللذين حصلا له وهو يطوف بقبر المعتمد: "وقد زرتُ انا قبر المعتمد بن عباد بمدينة أغمات سنة (١٠١٠)، ورأيت

فيه مثل ما ذكره لسان الدين رحمه الله تعالى، فسبحان من لا يبيد ملكه، لا إله إلا هو"(٦٥) وفي مكان آخر من النفح يقول: "قلت وقد زرت انا قبر المعتمد والرميكية أم أولاده حين كنت بمراكش المحروسة عام عشرة وألف .. وحصلت لي في ذلك المحل خشية وادكار، وذهبت بي الأفكار، في ضروب الآيات، فسبحان من يؤتي ملكه من يشاء لا إله غيره وارث الأرض ومن عليها وهو خير الوارثين"(٦٦) ، ومرة ثالثة يستشهد بالشعر، لكنه الشعر الذي يحمل دلالات على العبرة والتبصر بأحوال الدنيا، والانتباه من الغفلة "وما أحسن قول الوزير ابن عبدون في مطلع رائيته الشهيرة:

الدَهرُ يُفجِعُ بَعدَ العَينِ بِالأَثَرِ فَما البُكاءُ عَلى الأَشباحِ وَالصُوَرِ "(٦٧)

وقوله:

يا نائِمَ الفِكرِ في لَيلِ الشَبابِ أَفِق فَصُبحُ شَيبِكَ في أُفُقِ النّهى بادي
غَضَّت عَنانَكَ أَيدي الدَهر ناسِخَةً عِلماً بِجَهلٍ وَإِصـــــلاحاً بِإِفسادِ(٦٨)

تركيب:

تكتمل سيرة المعتمد في أخبار هذه المرحلة ، صحيح أن المعتمد لم يعد حاضراً ليكون الشخصية المحركة للأحداث كما مر بنا في المرحلتين السابقتين، إلا انه حاضر بما تحمله الذاكرة من أخباره أو ما تحاول ان تكمل صورته به من إضافة معانٍ ذات أهمية كصفة العبودية والصلاح اللتين تصفه بهما الأخبار، بعد أن يكون عَبرة لكل من يحضر إلى قبره، فالحضور الى قبور الموتى لا يتحقق إلا بكون صاحب القبر عبداً صالحاً، وأن في الزيارتة عِبرة واعتباراً، وذلك ما تحققه مجموعة أخبار هذه المرحلة.

<u>صورة وراء الصورة:</u>

اتضح من قراءة الأخبار أن الأخبار قدمت مراحل ثلاثة للمعتمد ، الأولى أخبار الملك وقد اتصفت بالقوة والمجد والأنس والبهجة، أما في المرحلة الثانية فأخبارها تشابه للحالة التي يمر بها المعتمد (حضور منكسر كما هو حاله والاخبار تنته بالشعر المعبر عن الانكسار والألم) اما في المرحلة الثالثة فلا حضور للمعتمد سوى ذكرى طيبة فلا هو منتصر ولا هو منكسر انما هو عبد صالح تدعو أخباره الى العَبرة وإلى العِبرة معاً..

قدمت الاخبار المعتمد بهذه الطريقة، (مُلك، أسر، موت) (أنس، وحشة، عبرة) (حضور لافت زاهٍ، حضور باهت موحش، غياب وذكرى) (سعادة، ضياع، عِبرة) هذه الصورة ، وهذا الترتيب الا يحيلنا الى شيء أوسع من صورة المعمد الفرد؟ خاصة ونحن مع مؤلف يؤرخ للأندلس؟. ألا نلاحظ أن ثمة تشابه كبير بين صورة المعتمد الفرد وصورة الأندلس المكان/الحضارة وقد مرت بالمراحل الثلاثة ذاتها (ملك وقوة ، ثم أسر، ثم ضياع وذكرى حسنة!؟.

لقد "كانت الاندلس نموذجا أمثل لرقي المسلمين الثقافي والحضاري والعلمي والفكري في أوج ازدهارها وعصرها الذهبي"(٦٩) ابتدأت بصعود المدّ الحضاري لتدخل في "عصر ازدهار في جميع نواحي الحضارة الإسلامية في الأندلس، بحيث يمكن القول إن تلك الفترة التي تولى فيها الناصر والمستنصر استحقت أن تسمى بالعهد الذهبي للحكم الأندلسي. وكانت مدينة قرطبة هي المركز الذي تتركز فيه حضارة الأندلس باعتبارها أم المدائن الأندلسية، وقطرها الأعظم، ومستقر الأمراء والخلفاء، وكان لها الدور الأكبر في نشر الفكر والحضارة الإسلامية في ربوع الأندلس كلها"(٧٠) ، كانت تنعم فيه بـ "الوحدة والاستقلال، والأمن والرخاء، والتحضر والرقي"(٧١)

ثم يأتي عصر الطوائف " عصر تفكك وانحلال سياسي واجتماعي"(٧٢) ثم يأتي الانهيار والضياع و " الانهيار الذي تلى هذا الازدهار لانظير له ولامثيل في تاريخ سقوط الأمم وانهيار الحضارات"(٧٣)، الانهيار الذي جعل من الاندلس في أعين المؤرخين والشعراء فردوساً مفقوداً وبقي العرب بعده أمة " تنوح على هذا الفردوس المفقود"(٧٤) ثم يصح القول "ان في تاريخ الأندلس .ذلك الفردوس المفقود .لدروساً وعبراً لا نجدها في تاريخ غيرها من البلاد"(٧٥) بل ممكن عد الأندلس " ثروة حقيقية .. ثروة ضخمة جدا من العلم والخبرة والعبرة"(٧٦)

هذه الرؤية من المجد الى العبرة وفي اثنائها انهيار ومعاناة الا تتطابق، تماما، مع صورة المعتمد كما مرّ بنا في أخبار المقري؟؟

تبدأ الاندلس بالتحول من المجد الى الفتن والاسر الى الضياع (كتب المقري كتابه بعد ضياع الاندلس بفترة)

تتحول الاندلس مع عصر الخليفة عبدالرحمن الناصر الى دولة قوية ثم تضعف رويدا رويدا الى ان تقع فريسة بيد اعدائها ثم تمضي الأيام فتصبح عبرة تتحول من الفردوس الحاضر الى الفردوس المفقود، ما الذي رأيناه في أخبار المعتمد غير ذلك؟

ثمة، اذن تشابه بينهما، تتشابه المصائر والنهايات مثلما تتشابه الأسباب التي تؤدي الى النتائج ذاتها، الحياة بمراحلها، والنهايات المأساوية، وهنالك الأسباب،

المعتمد من قوة الى أسر الى موت وعِبرة، الم يتحول ملكه الى فردوس مفقود يقوم باستعادته في شعره ويندبه ويبكي عليه؟! ألم يكن تقديم المصلحة الشخصية والصراع بين الاخوة الاندلسيين هو ما جرَّ عليهم الويلات واستدعى المرابطون للدخول وخلعهم؟!! اليست هذه هي صورة مصغرة للأندلس وقد تقلبت بها الأحوال من قوة ثم اسر بيد العدو ثم عبرة في بطون التاريخ انها بالنسبة للمقري وامثاله، وبالنسبة الينا جميعا هي الفردوس الضائع، وهي عِبرة لاتزال ماثلة امامنا، والأسباب لم يعد منها ما هو مخفي .

يذكر المؤرخون عددا من الأسباب التي أدت الى سقوط الأندلس لكنهم يتفقون على سببين رئيسيين هما الترف والصراعات الداخلية، وهي الأسباب ذاتها التي أدت الى ضياع ملك المعتمد انشغاله بالترف ومحاولته توسعة مملكته على حسابا أبناء الاندلس ذلك الانشغال المستمر بين ملذات الذات وتضخم الملك أدى به الى الضياع والاسر والموت غريبا.

سيرة الاندلس العظيمة، كما يحاول المؤلف تدوينها في كتابه، لن تكتمل الا بسيرة أبنائها، فلا يكفي أن يكون موقعها عظيما، وان يكون رزقها وفيرا، بل يتوجب أن تنجب أبناء عظماء، ليس وهم ملوكا، فحسب، بل وهم أسرى أيضا، ان العظمة تكمن في أن المصائب لا تكسر الرجال العظماء، هذا هو حال المعتمد الذي تحول الى ذكرى جميلة وهذه هي الاندلس تتمثل هنا بسيرة أبنائها فهي ذكرى جميلة لم تنكسر رغم ما حل بها انها فردوس ضائع والمعتمد كذلك.

شكل المعتمد، إذاً، صورة صغرى للأندلس من الملك الى الاسر الى الضياع، ثم نلتفت فنجد ان للمقري منهجا حاول ان يتبعه فيبني صورة الملك على صورة الاندلس.

كان المؤلف مأخوذا بصورة الأندلس وقد ألف كتابه لإبراز أهم نماذجها المضيئة جاعلا من ابن الخطيب قطب الدائرة الذي تدور حوله الأندلس، ثم وجد هذا الانموذج (ابن الخطيب) يقصد قبر المعتمد زائرا له بوصفه العبد الصالح، فما يمنع، اذا، أن يستثمر أنموذجا آخر كالمعتمد وقد وجد فيه صورة مصغرة تطابق الصورة الكبيرة (الأندلس). هل يعطينا هذا التطابق بين الصورتين إجابة على سؤال يظل ملحاً ، ما دمنا نقرأ أخبار المعتمد، وهو لماذا كانت الأخبار ، على تناثرها في الكتاب تنتظم في ثلاث مجموعات ؟، أو

لعله يكون دليلاً أو على الأقل إجابة لسؤال بناء الأخبار على طريقة خاصة تتشابه مع المرحلة السياسية التي يعيشها المعتمد.

خاتمة:

١: قدم المؤلف ، وهو يدوّن أخبار المعتمد بن عبّاد، بوصفها جزءاً من حضارة واسعة للأندلس، وعياً عميقاً بفكرة التأليف، وفهماً كبيراً للتاريخ وتقلباته وتفاصيله،

٢: إن تدوين الأخبار قدم تكاملاً واضحاً للمتلقي، بين بناء الأخبار والسياق الذي تدور الأخبار في فلكه فلم يكتفِ المؤلف أن يتوافق مضمون الاخبار مع المرحلة التي تعيشها الشخصية الرئيسة في الأخبار (المعتمد) بل يذهب إلى أن تتوافق الأخبار من حيث البناء وأسلوب السرد والنهايات مع المراحل المختلفة التي عاشها المعتمد.

٣: تقدم أخبار مرحلة الملك صورة زاهية للمعتمد الملك الذي يأمر فيُطاع، تتوافق مع صورة زاهية للمكان الرحب الذي تتعدد فضاءاته، وتحفل الأخبار جميعها بالنهايات السعيدة للمعتمد؛ غافلة عن الأخبار السيئة التي مرت به في هذه الفترة.

٣: أما أخبار المرحلة الثانية، المنفى ، فتحفل بنقل الأحداث السيئة، وبالمكان الضيق، وبالنهايات الحزينة التي تختتم بالشعر الذي يعبر عن الإنكسارات والأحزان.

٤: أما أخبار المرحلة الثالثة فتقدم المعتمد ، وقد انتقل الى عالم الآخرة، بأنه العبد الصالح الذي يقصده الشعراء، والعلماء للبكاء عند قبره ، والتبرك به ، بوصفه عبداً صالحاً، فلا تكتمل صورة المعتمد وقد كتب المؤلف اخباره بمزيد من المحبة الا بتحويله بعد مماته الى عبد صالح يقصد قبره ويرثيه الشعراء وتبكيه الناس، على الرغم من دفنه في أرض غريبة بعيدة كل البعد عن الناس الذين كان يغدق عليهم بعطاياه وذلك ما يمنح المعتمد بعدا إنسانيا ودينيا.

٥: يوصلنا تحليل صورة المعتمد في اخباره التي نضدها المقرّي الى انه كان رمزا للأندلس وان تنضيد أخباره بهذه الطريقة التي أشار اليها البحث يجعل منه صورة مصغرة تساوي صورة الاندلس الكبرى وقد تقلب

الزمان بهما معا من الملك والسعادة الى النكبة والاسر الى الضياع الى التخول الى ذكرى حسنة وعِبرة في الوقت ذاته.

هوامش البحث

(١) أحمد بن محمد المقّري التلمساني، نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، حققه الدكتور احسان عباس، دار صادر بيروت، د.ط، ١٩٦٨.مج٤: ٢٨٥

(٢) ترجمته في: الإحاطة ٢: ١٠٨، الأعلام ٦: ١٨١، قلائد العقيان ١: ٥١، الحلة السيراء ٢: ١٥٢، وفيات الأعيان٥: ٢١، الوافي بالوفيات ٣: ١٥١، الذخيرة٢: ٤١، نفح الطيب، ديوان المعتمد ، الكامل في التاريخ٨: ٣٤١ و٣٩٣.

(٣) المقري، نفح الطيب،م.س. ٤: ٢٥٥

(٤) خير الدين الزركلي، الأعلام، دار العلم للملايين، ط١٥، أيار ٢٠٠٢,٦: ١٨١

(٥) صلاح الدين خليل بن ايبك الصفدي، الوافي بالوفيات، تحقيق واعتناء: أحمد الأرناؤوط وتركي مصطفى، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط١، ٢٠٠٠,٩,٣: ١٥١

(٦) الزركلي، الأعلام، م.س ، ٦: ١٨١

(٧) م.ن. ٦: ١٨١

(٨) أبو الحسن علي بن بسام الشنتريني، الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة، تحقق الدكتور احسان عباس، دار الثقافة، بيروت، د.ط، ١٩٩٧ ، ٢ : ١: ٤١

(٩) آنخيل جنثالث بالنثيا، تاريخ الفكر الأندلسي، ترجمة: حسين مؤنس، مكتبة الثقافة الدينية.، ١٦

(١٠) عز الدين أبو الحسن علي بن ابي الكرم محمد بن محمد الشيباني ابن الأثير، الكامل في التاريخ، حققه واعتنى به الدكتور عمر عبدالسلام تدمري، دار الكتاب العربي، بيروت، د.ظ، ٢٠١٢. ٨: ٣٩٣

(١١) عبد الواحد المراكشي، المعجب في تلخيص أخبار المغرب، ضبطه وصححه وعلق حواشيه وانشا مقدمته: محمد سعيد العريان ومحمد العربي العلمي، مطبعة الاستقامة بالقاهرة، ط١، ١٩٤٩.: ١٠١

(١٢) أحمد بن محمد بن أحمد أبو العباس المقّري التلمساني (٩٩٢؟-١٠٤١) ولد في المغرب وتوفي بالشام، الأعلام، ٢: ٢٣٧

(١٣) ابوالحسن محمد بن الحسين بن موسى الشريف الرضي، نهج البلاغة (مجموع ما اختاره الشريف الرضي من كلام امير المؤنين علي ابن ابي طالب)، تحقيق الشيخ قيس بهجت العطار، مؤسسة الرافد للمطبوعات، قم، ط١، ٢٠١٠: ٣: ٧٠

(١٤) الصفدي، الوافي بالوفيات، م.س، ٣ : ١٥٣

(١٥) لؤي حمزة عباس، بلاغة التزوير، فاعلية الاخبار في السرد العربي القديم، الدار العربية للعلوم ناشرون، ط١، ٢٠١٠: ١٢

(١٦) المقّري، نفح الطيب، م.س، ق٤: ٢١١

(١٧) م.ن،٤: ٢٦٠

(١٨) احمد بن الحسين المتنبي، الديوان، دار بيروت للطباعة والنشر، بيروت، د.ط، ١٩٨٣: ٤٤٨

(١٩) م.ن: ٤: ٢٦١

(٢٠) م.ن: ٤: ٢٦٢

(٢١) اعتماد الرميكية (ت٤٨٨): شاعرة أندلسية.كانت جارية لرميك بن حجاج فنسبت إليه. وآلت إلى المعتمد بن عباد، فتزوجها، وولد له منها: عباد الملقب بالمأمون، وعبيد الله الملقب بالرشيد، ويزيد الملقب بالراضي، والمؤتمن، وبثينة الشاعرة. الزركلي، الاعلام، ١: ٣٣٤

(٢٢) المقّري، نفح الطيب، م.س. ٤: ٢٧٢.٢٧٣

(٢٣) م.ن: ٤: ٢١١

(٢٤) م.ن،٤: ٢٦٠

(٢٥) م.ن. ٤: ٢٦١

(٢٦) م.ن. ٤: ٢٦٢

(٢٧) م. ن. ٤: ٢٧٢ .٢٧٣

(٢٨) م.ن. ٤: ٢١١

(٢٩) م.ن. ٤: ٢٦٠

(٣٠) م.ن. ٤: ٢٦١

(٣١) المعتمد، الديوان: ٢١

(٣٢) المقّري، نفح الطيب، م.س. ٤: ٢٦٢

(٣٣) م. ن. ٤: ٢٧٢ .٢٧٣

(٣٤) م.ن، ٤: ٢٧٥

(٣٥) م.ن، ٤: ٢٢٠

(٣٦) م.ن، ٤: ٢٧٣

(٣٧) م.ن، ٤ : ٢٢١

(٣٨) م.ن، ٤: ٢٧٥

(٣٩) م.ن، ٤: ٢٢٠

(٤٠) م.ن، ٤: ٢٧٣

(٤١) م.ن، ٤: ٢٢١

(٤٢) أبو محمد عبدالله بن مسلم ابن قتيبة، تأويل مشكل القرآن، شرحه ونشره السيد احمد صقر، المكتبة العلمية، د.ط، د.ت.: ١٨

(٤٣)المعتمد محمد بن عباد، الديوان، جمعه وحققه: الدكتور حامد عبد الحميد والدكتور أحمد أحمد بدوي، راجعه: د.طه حسين، مطبعة دار الكتب العربية، القاهرة، ط٣، ٢٠٠٠: ١١٢

(٤٤) ديوان المعتمد، م.س : ٩٤

(٤٥) م.ن : ١٠٠ - ١٠١

(٤٦) م.ن : ١١٠-١١١

(٤٧) حسناء أقداح، الصورة الشعرية عند المعتمد بن عباد، مجلة جامعة دمشق، مج٢٨، ع٢، ٢٠١٢

(٤٨) ابن بسام، الذخيرة، م.س، ٢: ١: ٤٢

(٤٩) انخيل جنثالث بالنثيا، تاريخ الفكر الأندلسي، م.س ، ١٦

(٥٠) م.ن: ١٠١

(٥١)محمد خيط ،المعتمد بن عباد ، دراسة نفسية، ماجستير: ١٤٠

(٥٢) شوقي ضيف، الرثاء، دار المعارف، ط٤،د.ت: ١٢

(٥٣) م.ن.٥٤

(٥٤) االوافي بالوفيات، ٣: ١٥٥ ، مجاني الأدب في حدائق العرب،الأب لويس شيخو اليسوعي، المطبعة الكاثوليكية، بيروت، د.ط، د.ت ٥: ٢٤٥

(٥٥) المقّري، نفح الطيب، م.س : ٤: ٢٢٤.

(٥٦) م.ن، ٤: ٢٢٤

(٥٧) لسان الدين بن الخطيب السلماني، الديوان، صنعه وحققه وقدم له الدكتور محمد مفتاح، دار الثقافة، ط١ ، ١٩٨٩، ج١ : ١٨١-١٨٢

(٥٨) المقّري، نفح الطيب:٤: ٩٨-٩٩

(٥٩)م.ن: ٤: ٢٢٥

(٦٠) م.ن، ٤: ٢٢٥

(٦١) بواز شوشان، شعرية التاريخ الإسلامي تفكيك تاريخ الطبري، ت: حيدر الكعبي، دار الجمل،ط١، ٢٠١٦ ، ص٧٧

(٦٢) المقّري، نفح الطيب، م.س، ٤: ٢٢٥

(٦٣) م.ن، ٤: ٩٩

(٦٤) م،ن: ٤ : ٢٥٩

(٦٥) م.ن، ٤: ٩٩

(٦٦) م،ن : ٤ : ٢٢٥

(٦٧) المقّري، نفح الطيب، م.س، ٤: ٢٢٥

(٦٨) م.ن، ٤: ٢٢٥

(٦٩) د.علي المنتصر الكتاني، انبعاث الإسلام في الأندلس، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط١، ٢٠٠٥، ص٥.

(٧٠) دكتور طه عبدالمقصود عبدالحميد عبيَّة، موجز تاريخ الاندلس من الفتح الإسلامي الى سقوط غرناطة، مكتبة المهتدين الإسلامية لمقارنة الأديان، د.ط، د.ت ، ص١١٧

(٧١) م.ن، ص١١٩

(٧٢) دكتور طه عبدالمقصود عبدالحميد عبيَّة، موجز تاريخ الاندلس ،م.س، ص١٤٩

(٧٣) د.علي المنتصر الكتاني، انبعاث الإسلام في الأندلس ، ص٥.

(٧٤) الأمير شكيب أرسلان، الحلل السندسية في الأخبار ولآثار السندسية، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، ج١، ص١٤

(٧٥) د.علي المنتصر الكتاني ،انبعاث الإسلام في الأندلس، م.س ، ص٥

(٧٦) د.راغب السرجاني، قصة الإسلام من الفتح الى السقوط، مؤسسة إقرأ للنشر والتوزيع والترجمة، ط١، ٢٠١١، ص١٠

المصادر:

.**ابن الأبار** (أبو عبدالله محمد بن عبدالله بن ابي بكر)، الحلة السيراء، تحقيق الدكتور حسين المؤنس، دار المعارف، ط٢، ١٩٨٥.

.**ابن الأثير** (عز الدين أبو الحسن علي بن ابي الكرم محمد بن محمد الشيباني)، الكامل في التاريخ، حققه واعتنى به الدكتور عمر عبدالسلام تدمري، دار الكتاب العربي، بيروت، د.ظ، ٢٠١٢.

.**ابن الخطيب** (لسان الدين) ، الديوان ، صنعه وحققه وقدم له الدكتور محمد مفتاح، دار الثقافة، ط١ ، ١٩٨٩

.**ابن الخطيب** (لسان الدين)، الإحاطة في أخبار غرناطة، مطبعة الموسوعات، مصر، ١٣١٩هج، ط١.

. **ابن بسام** (أبو الحسن علي) ، الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة، تحقيق الدكتور احسان عباس، دار الثقافة، بيروت، د.ط، ١٩٩٧

.**ابن خاقان** (أبو نصر الفتح بن محمد بن عبيد الله القيسي الأشبيلي)، قلائد العقيان ومحاسن الأعيان، تحقق د. حسين يوسف خريوش، مكتبة اليرموك، ط١، ١٩٨٩.

.**ابن خلكان** (أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن أبي بكر) ، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، حققه الدكتور احسان عباس، دار صادر، بيروت، د.ط، د.ت.

.**ابن قتيبة** (أبو محمد عبدالله بن مسلم) ، تأويل مشكل القرآن، شرحه ونشره السيد احمد صقر، المكتبة العلمية، د.ط، د.ت.

. **أرسلان** (شكيب) ، الحلل السندسية في الأخبار ولآثار السندسية، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، د.ط، د.ت.

.**الزركلي** (خير الدين) ، الأعلام، دار العلم للملايين، ط١٥، أيار ٢٠٠٢.

.**السرجاني** (د.راغب) ، قصة الإسلام من الفتح الى السقوط، مؤسسة إقرأ للنشر والتوزيع والترجمة، ط١، ٢٠١١.

.**شيخو** (لويس)، مجاني الأدب في حدائق العرب، المطبعة الكاثلوليكية، بيروت، د.ط. د.ت.

.**الصفدي** (صلاح الدين خليل بن ايبك)، الوافي بالوفيات، تحقيق واعتناء: أحمد الأرناؤوط وتركي مصطفى، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط١، ٢٠٠٠٩.

.**ضيف** (شوقي)، الرثاء، دار المعارف، ط٤.

. **الكتاني** (د.علي المنتصر) ، انبعاث الإسلام في الأندلس، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط١.

.**المتنبي** (احمد بن الحسين) ، الديوان، دار بيروت للطباعة والنشر، بيروت، د.ط، ١٩٨٣

. **المراكشي** (عبد الواحد)، المعجب في تلخيص أخبار المغرب، ضبطه وصححه وعلق حواشيه وانشا مقدمته: محمد سعيد العريان ومحمد العربي العلمي، مطبعة الاستقامة بالقاهرة، ط١، ١٩٤٩.

. **المعتمد** (محمد بن عبَّاد) ، الديوان ، جمعه وحققه: الدكتور حامد عبد الحميد والدكتور أحمد أحمد بدوي، راجعه: د.طه حسين، مطبعة دار الكتب العربية، القاهرة، ط٣، ٢٠٠٠

. **المقّري** (أحمد بن محمد)، نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، حققه الدكتور احسان عباس، دار صادر بيروت، د.ط، ١٩٦٨.

. **بالنثيا** (آنخيل جنثالث)، تاريخ الفكر الأندلسي، ، ترجمة: حسين مؤنس، مكتبة الثقافة الدينية.

. **شوشان** (بواز)، شعرية التاريخ الإسلامي تفكيك تاريخ الطبري، ت:حيدر الكعبي، دار الجمل،ط١، ٢٠١٦

. **عباس** (لؤي حمزة)، بلاغة التزوير، فاعلية الاخبار في السرد العربي القديم، الدار العربية للعلوم ناشرون، ط١، ٢٠١٠

. **عبيَّة** (د. طه عبد المقصود عبد الحميد)، موجز تاريخ الاندلس من الفتح الإسلامي الى سقوط غرناطة، مكتبة المهتدين الإسلامية لمقارنة الأديان، د.ط، د.ت.

. **الرضي** (ابوالحسن محمد بن الحسين بن موسى)، نهج البلاغة (مجموع ما اختاره الشريف الرضي من كلام امير المؤنين علي ابن ابي طالب)، تحقيق الشيخ قيس بهجت العطار، مؤسسة الرافد للمطبوعات، قم، ط١، ٢٠١٠

. **خيط** (محمد)، المعتمد بن عباد، دراسة نفسية، ماجستير، قسم اللغة العربية، كلية الاداب والعلوم الإنسانية، جامعة الاخوة منتوري، قسنطينة الجزائر، ٢٠٠٥

. مجلة جامعة دمشق، مج٢٨، ع٢، ٢٠١٢.

Research sources

-Ibn al-Abar (Abu Abdullah Mohammed bin Abdullah bin Abi Bakr), alhilla alsairaa, tahqiq al doctor Hussein al moanis, dar al-maarif.

-Ibn Al Atheer (Ez Elden Abu Alhassan Ali bin abi Karm Mohammed bin Mohammed al-Shaibani) alkamel fi al tareekh haqqaqaho wa eetana bihi al-doctor Omar Abdulsalam tadmori Dar AL kitab Al Arabi Beirut D th ٢٠١٢

-Ibn al khatib (lisan al din), al dewan, sanaaho wa haqqaqaho waqaddam laho al Doctor Mohammed Miftah dar al thaqafah.t١ ,١٩٨٩

-Ibn al khatib (lisan al din), al ehata fi akhbar Granada, matbaat al mawsoaat. masr.١٣١٩ hg,t١.

-Ibn Bassam (abu Alhassan Ali), al thakheera fi mahasen ahlul jazira tahqiq al Doctor Ihsan Abbas, dar al thaqafah, Beirut, d t ١٩٩٧

-Ibn Khaqan (Abu Nassr Alfateh Bin Mohammed Bin Obaidullah Alqaiai al Ishbili) qalaed al uqiaan wa mahasen al aaian, tahaqiq DR. Hussein Youssef Kharioosh, maktabat al Yarmouk. T١, ١٩٨٩

-Ibn Khalkan (Abul Abbas Shams El Den Ahmed Bin Mohammed Bin Abi Bakr), wafeyat al aayan wa anbaa abnaa al zaman, haqqaqaho DR. Ihsan Abbas, dar sadr, Beirut, d t d t

-Ibn Qutaiba (Abu Mohammed Abdullah bin Muslim), taawel mshkel al quraan, sharahao wa nasharaho al sayed Ahmed Saqr, al maktaba al elmeah

-Arslan Shakeebal hill al sindoseah fi al al akhbar wa al athar al sondeiash moassast Hindawi lel Taaleem wa al thaqafah

-Al zarkali (*Khair-Eddine*), al eelam, *Dar Al Elm Lel Malayeen*

-Al sargani (dr. Raghb) qossat al Islam min al faith Ela al soqoot moassat iqraa lel -Nashr wa-al-Tawzi wa al tarjama

-Al safdi (SALAH ELDIN KHALIL Bin Ebak),al wafi bil wafeyat tahqiq wa eetinaa *Ahmed Al Arnaout wa turki Mustafa, Dar Ihya al Turath al Arabi*, Beirut

-Al ketani (DR. Ali Al muntasar), Inbiath al-Islam fi al-Andalus, Dar al kotob al ilmiyah. Beirut

-Al-Mutanabbi (Ahmed Bin Al Hussein, al dewan. Dar Beirut lel Ṭibaʿah wa-al-Nashr. Beirut

-Al marrakechia (abdul wahed), al moaajab fi talkhees akhbar al maghrib, thabadaho wa sahhaho wa allaq hawasheeh wa anchaa moqaddamatehi . Muhammad Saeed Al- Aryan wa -Muhammad Al-'Arabi Al-'Ilmi. Matbaat al estiqama bil qahira

-Al Moatamad (Mohammed ibn Abbad) al dewan, jamaaho wa haqqaqaho DR. Hamed Abdel Hameed wa DR. Ahmed Ahmed Badawi. Rajaaho DR. Taha Hussein, matbaat *Dar al-Kutub al Arabia al qahira*

-Almoqri (Ahmed ibn Mohammed) nafh al teeb men ghosn al andalus al ratee.haqqaqaho DR. Ihsan Abbas. Dar sader Beirut

-Angel González Palencia, tarekh al fikr al andalusi tarjamat Hussein moannas, maktaba El Thaqafah al deneyah

-Shoshan bwaaz shireyat al tareekh al islami tafkeek tareekh al tabari T. Haider al Kaabi. Dar al jamal

-Abbas luay Hamza balagat al tazweer faeleyat al akhbar fi al sard al arabi al qadeem al dar al arabia lel uloom nashiroon

-Abeah (DR. taha Abdul Maqsood Abdul Hameed) mojaz tareekh al andalus min al fateh al islami ela soqot ghornada maktabat al muhtadeen al islameyah le maqarn al adyan

-Al-Radhi (Abu al-Hasan Muhammad bin al-Husayn bin Musa) Nahj al-Balagha(majmooa ma ikhtaraho al Sharif al-Radhi min kalam amir al-muʾminin Ali bin Abi Talib) tahqiq al Sheik Qais Bahjat Al-Attar, moassasat al rafid lel matboaat

- Khait (Muhammad), Al-Mu'tamid Ben Abbad, derasa nafseah , master, qism allogha al Arabia kolleat ak aadab wa al ulom al insaniah , jamiat al ikhwa Mentouri, Algeria Constantinople

-Majallat Jamiʿat Dimashq

- Sheikho (Lewis), majani al adab fi hadaeq al arab al Daif shawqi al Rathaa Dar Al Maaref matbaah alCatholic , Beirut